كيف أنشئ المقتطف

بقلم احد منشئيه المرحوم الدكتور يعقوب صروف

لما ابتدأت سنة ١٨٧٦ كنّا في المدرسة الكلية السورية احدنا يدرّس الفلسفة الطبيعية والرياضيات والآخر يدرّس علم الهيئة واللغة اللاتينية . وكنا نقضي ساعات الفراغ في مطالعة الكتب والمجلات والمذاكرة في مباحث العلماء الحديثة والخطابة في الاندية العلمية والادبية . وكنا نأسف لان لغتنا العربية خالية من جريدة تُبسط فيها العلوم والفنون بسطاً يقرّبها من افهام القرّاء وتُنشر فيها خلاصة المكتشفات الجديدة والتحقيقات المفيدة شهراً بعد شهر حتى يبقى ابناء الشرق عامّة وتلامذتنا خاصّة جارين مع العلم في سيره الحثيث . وكان اصدقاؤنا الذين يعرفون وسائطنا يحثّوننا على القيام بهذا العمل الخطير لحسن اعتقادهم بنا ولشدّة الحاجة اليه

وذات يوم كنا جالسين في غرفة احدنا بجانب البهو الكبير الذي هو الآن مكتبة الجامعة وكان حينئذٍ منتداها ومحل العبادة فيها فنظرنا في هذا الامر وقرّ رأينا على انشاء جريدة تفي بالغرض المطلوب ورسمنا خطتها من تلك الساعة وطلبنا العون والارشاد من العزة الالهية . ثم قصدنا المرصد الفلكي حيث استاذنا الدكتور ڤان ديك واخبرناه بما عزمنا عليه وسألناه ان يختار لنا اسماً له . فابرق اسرّته وجعل يشدّد عزائمنا ويسهل علينا الصعاب وقال سمياه «المقتطف» واجعلاه كاسمه وحسبكما ذلك . ثم كتب الى صاحب السعادة خليل افندي الخوري وكان مديراً للمطبوعات في ولاية سورية يطلب منهُ ان يسعى لنا في استصدار جلب الرخصة السلطانية باسرع ما يمكن . ففعل ولم يمضِ شهران حتى اتتنا الرخصة فذهبنا وبشرنا استاذنا بها فقال سيروا في عملكما والله معكما وانا سأشرع من هذه الساعة في كتابة بعض الفصول للمقتطف . لكتب فصول «اطباء اليونان والشرق» ونشرنا اوّل فصل منها في الجزء الثاني الذي صدر في غرّة يوليو (تموز) سنة ١٨٧٦ . واباح لنا كل ما عندهُ من الكتب والجرائد والآلات والادوات لكي نستعملها كما نشاء من غير حساب

واستشرنا ايضاً رئيس المدرسة الكلية وسائر اساتذتها في ما نحن عازمون عليه فشدّدوا عزائمنا واباحوا لنا كل ما في المدرسة من كتب وآلات ومستحضرات علمية . ونشرنا حينئذٍ اعلاناً وزعناهُ في بيروت وغيرها من المدن السورية وهذه صورتهُ

« لا يخفى ان الجرائد العلمية والصناعية من افضل الوسائل لنشر العلم والصناعة وتسهيل تناولها للخاصة والعامة. ولما كانت خدمة الوطن فرضاً واجباً وكنا بحيث يسهل علينا الاعتضاد باهل العلم والفضل والوقوف على كتب كثيرة متعددة اللغات يُعتمَد عليها في العلم والصناعة واستحضارات متنوعة من فلسفية وكيماوية وفلكية ومتيورولوجية وجيولوجية وفيزيولوجية وغيرها وبناءً على طلب كثيرين ممن يهمهم ويسائلنا ويهمهم تقدُّم الوطن عزمنا بعد الاتكال عليه تعالى وبهمة اولياء الامور العظام على نشر جريدة علمية وصناعية سميناها المقتطف صفحاتها اربع وعشرون صفحة يقطع هذا الاعلان وحرفه تصدر مرّةً في الشهر وهي لا تتعرّض لشيء من المسائل الدينية ولا السياسية على الاطلاق بل تقتصر على المباحث العلمية كالطبيعيات والعقليات وما اشبه والصناعية كالحراثة والصباغة والتصوير وما اشبه. والتاريخية كتاريخ العلماء والصنّاع والاكتشافات والاختراعات. وانّا سنبذل جهدنا في جعلها بسيطة العبارة سهلة المأخذ عميمة الفائدة احكامها موضحة بالاشكال والصور على ما هو جارٍ في الجرائد الافرنجية بحيث يستفيد منها اهل العلم والصناعة وترتاح الخواطر الى مطالعة ما فيها من اخبار العلم واهله. وسنعتمد فيها على اقتطاف ما تناسب احوالنا بلادنا من افضل الكتب والجرائد ان شاء الله »

ثم اصدرنا الجزء الاول من المقتطف في غرة مايو (ايار) سنة ١٨٧٦ وصدّرناهُ بمقدمة مسهبة قلنا في اولها ما نصهُ :

« لا ريب ان كل من يقف على هذا المثال يسرّهُ العمل الذي باشرناهُ خدمةً للوطن واجابةً لطلب كثيرين من محبي التقدُّم ونشر الفوائد. ولم نستشر فيهِ احداً من ذوي الرأي الصائب الاّ حثّنا عليهِ وابان لنا شدة احتياج الوطن الى ما يتسهل بهِ الوصول إلى العلم والصناعة كهذا العمل وامثالهِ. ولما رأينا مناسبة الاحوال لنا ووجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرتهُ على ما بنا من القصور مستعينين بهِ تعالى ونائلين الرخصة السامية بهِ من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري الذي اشتهرت غيرتهُ على مصالح الوطن. وقد اصبحنا مديونين لاساتذة المدرسة الكلية السورية بالمساعدات التي وعدونا بها. ولنا الامل الوطيد ان هذه الجريدة تقع عند الجمهور موقع القبول وترغّب الطلاب في احراز العلم واتقان الصناعة واعياد رئيسها وتزميم باليها اشدة افتقارنا اليهما كليهما. على ان كثيرين يزعمون انّا قد بلغنا من العلم غاية ما يحتاج اليهِ وان الاحرى بنا ان نقتصر على طلب الصناعة. وذلك غير سديد أما ترى ان الصناعة

مؤسسة على العلم وانما انما تتقن بتهذيب العقل والذوق وان الصانع الحاذق هو العالم باصول صناعته وحقائقها وهذه لا تُعرَف جيداً الاَّ بدرس ما تأسست عليه من المبادىء العلمية. وكفانا برهاناً على ذلك ان الافرنج وغيرهم من الذين اتقنوا الصنائع يجتهدون في تعليم الافراد غاية الاجتهاد و بعضهم يوجبهُ شرعاً. فالاحرى بنا ان نقصد العلوم من حيث تؤدّي الى الصناعة جادين في تلك غير مهملين هذه. ولا حاجة بعدُ الى الاطالة في ذلك فكل من وقف على مبادىء العلوم يرى لزوم معرفتها للصانع ولو اجمالاً

«ولعلّ هذا المثال يدلُّ على حقيقة بحثنا في المواضيع غير انها تكون في ما بعد اكثر استيفاء كما هو مذكور في محله ور بما كانت اسهل فهماً لاننا سنقرر المبادىء ثم نبني عليها. وقد التزمنا هنا ان نعرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليهِ لضيق المقام وسنسلك تارةً مسلك التعليم واخرى مسلك الشرح وتوجز تارةً وتسهب اخرى حسب الاقتضاء. ولما كانت مواضيعنا لا تتعرّض للمباحث الدينية ولا السياسية الاَّ من باب العلم فكل ما يرد الينا خارجاً عن هذا الباب غير مقبول »

وكان في ذلك الجزء سبع مقالات الاولى في عمل الزجاج والثانية في القمر وما يعرف من امورهِ وآراء المتقدمين فيهِ. والثالثة في الميكرسكوب. والرابعة في علاج البثة عند العرب. والخامسة في اللغة الحميرية والقلم المسند. والسادسة في الصباغ الاحمر على القطن. والسابعة في المطر. ثم قليل من الاخبار العلمية

ووزعناهُ في المدن السورية و بعض المدن المصرية. ولم نصدر الجزء الثاني الاَّ في غرة يوليو (تموز) وكان فيهِ مقالة الدكتور فان ديك في اطباء اليونان والشرق ومقالة للدكتور اسين ابي خاطر في صحة الاطفال عدا المقالات التي كتبناها نحن. وكان فيهِ جواب على مسألتين الواحدة صناعية والثانية علمية وهما اول المسائل في الجرائد العربية في ما نعلم

وجرينا في المقتطف على الخطة التي رسمناها لهُ وزادت رغبة القراء فيهِ وكثرت علينا مسائلهم فاجبنا منها في الجزء الاخير من تلك السنة عشرين مسألة. وكنا نتولى انشاءهُ ونهتم بطبعهِ ونشرهِ ومكاتبة وكلائهِ والمشتركين فيهِ مع قيامنا بالتدريس في المدرسة الكلية فخفنا ان تزيد اشغالنا على هذه النسبة فنعجز عن القيام بها. ولذلك رأينا في اول السنة الثانية ان نبيط ادارتهُ من حيث الاهتمام بطبعهِ ونشرهِ ومكاتبة وكلائه وجمع اشتراكاتهِ بمن يتفرغ لها فانطناها باخينا شاهين بك مكاريوس واعلنا ذلك في صدر الجزء الاول من السنة الثانية و بقينا لا نهتم بادارتهِ الى ان تركنا المدرسة الكلية وانينا

القطر المصري في اوائل سنة ١٨٨٥ فعدنا الى الاهتمام بها مع الاهتمام بانشائهِ

وفي اواخر سنة ١٨٨٠ زرنا الديار المصرية فرأينا من اقبال الفضلاء على المقتطف ما شدَّد عزائمنا على توسيع نطاقهِ فجعلناهُ في السنة التالية ٦٤ صفحة كل شهر بعد ان كان ٢٤ صفحة عند اول صدورهِ. ثم زدناهُ رويداً رويداً وهو الآن نحو ١٤٠٠ صفحة في السنة

وفي اواسط سنتهِ التاسعة انتقلنا بهِ الى الديار المصرية ديار الامن والحرية فودَّعهُ علماء بيروت وادباؤها ورحَّب بهِ عظماء مصر وفضلاؤها. قال استاذنا الدكتور فان ديك من رسالة بعث بها الينا حينئذٍ « على اننا ندعو بالخير والتوفيق للبلاد التي انزلت المقتطف ديارها على الرحب والسعة ونثني الثناء الجميل على الاماجد الافاضل الذين فتحوا لكم الصدور واحلوكم محلَّ الكرامة ... متيقنين انكم تزيدون نمواً تحت ظلهم وتزداد جريدتكم المفيدة فوائد بحسن معاضدتهم ». وقال المرحوم شريف باشا من رسالة اخرى « لما كان المقتطف خير ذريعة لنشر المعارف بين المتكلمين بالعربية فلا عجب اذا نال ما نال من رفعة المقام في اعتبار الخاصة والعامة معاً. وقد يلذ لي في هذه الاثناء خير تقدم الى القطر المصري بعد ما خبرتهُ وخبرت معارفكم زماناً فاستحسنت ان ابدي مسرَّتي بذلك لما فيهِ من الفوائد التي لا تستغني عنها البلاد ». والرسالتان منشورتان بتمامهما في الجزء السادس من السنة التاسعة مع رسالة من دولتلو رياض باشا ورسالة من المرحوم شفيق بك منصور

ومن ثم الى الآن والمقتطف يزيد اتساعاً وانتشاراً وقد اضطرتنا بعض الاسباب ان نؤخر ابتداء سنتهِ رويداً رويداً حتى صار في ابتداء السنة الشمسية ولولا ذلك لكان جزء ابريل الماضي الجزء الاخير من السنة الحادية والخمسين. فالمقتطف من هذا القبيل اقدم جريدة عربية في القطر المصري. وقد سلكنا فيهِ على الخطة التي رسمناها لهُ في الجزء الاول من اجزائهِ وزدناها اتقاناً بجمع بعض فصولهِ في ابواب خاصة كباب الزراعة وباب الصناعة وباب المسائل وباب الاخبار العلمية

ولم تكن طريق المقتطف خالية من الحزون والعقبات لكن العقبات التي قامت في وجههِ لا تذكر في جنب ما لقيهُ من الاحتفاء والاكرام في مصر والشام والعراق وسائر البلدان التي اقرأ فيها اللغة العربية ونحن لا ندَّعي بفضل لنا في شيء مما ننشرهُ في المقتطف فانما نحن طالبا علم نقتطف ثمار المعارف من بساتين العلم والادب ونزفها الى ابناء العربية في صفحاتهِ. وغاية ما نرجوهُ ان تنعم بطالعتها المعارف وتقوى الفضائل ويستفيد منها الزارع والصانع فان كان المقتطف قد وفى ببعض هذه الغايات فحسبهُ افتخاراً